مسخ اللغة العربيَّة

لبعض ادباء دمشق

ليس البكاء من ذكرى حبيب ومنزل ولا على طلل بال وحقاف عقنقل بل البكاء كل البكاء مما المَّ بلغتنا العربية الشريفة من الملمات ونزل بها من النوازل ما شوَّه وجه محاسنها ولطخ قشيب بردها بل نحتها ومحيها نحتًا ومحتًا مؤديين والعياذ بالله الى ضياع اللغة وذهابها بفساد ملكتها وشتاتها . ذلك ما يبكينا بل يبكي كل غيور على ضياع هذه اللغة حريص على بقائها دائب في تمكين ملكتها واحيائها

كلٌ يعلم ان الامم المتحضرة على اختلاف اجناسها لا تألو جهدًا عن تحسين لغاتها وحفظها من تطرُّق الخلل وبوائق الزلل . وان العرب كانوا من احرص الناس على ذلك فكم استنفدوا وسعهم وبذلوا جهدهم في ضبط قواعدها وجمع شواردها وكم جابوا البلاد والآفاق في جمع ما تفرَّق منها وكم سهروا الليالي في تأليف الكتب بها وكم اقتعدوا غارب الاغتراب في طلبها واخذها عن اهلها كل ذلك حفظًا لها من التفرُّق والضياع واشفاقًا من وصول الخلل والفساد اليها ودخول وصمة الاعجمية عليها[1]

ولعمري انهم مصيبون غاية الاصابة اذ لولا ذلك لدهمت اللغة دثور مدثر وتوسمت بنادم العهد وطول الامد واختلاط العرب بغيرهم من الامم سيما في هذا العصر الذي كثر فيه هذا الاختلاط وكثرت الترجمة من اللغات الاعجمية الى لغتنا العربية فأدت الى هذا المسخ الناشئ عن جهل بعض المترجمين

أجَل . قد مسخت لغتنا العربية مسخًا فيحًا ينبو عنه السمع وينفر منه الطبع مسخت الى صورتين

---

(١) قال الفارابي في كتاب الالفاظ والحروف ان الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي هم قيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . فلم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري واطراف البلاد المجاورة لسائر الامم الذين حولها قاطبة لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط . ولا من قضاعة وغسان لمجاورتهم اهل الشام ولا من تغلب وايبر لانهم كانوا في الجزيرة مجاورين لليونان . ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس . ولا من عبد القيس وازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهنود والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة . ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم . ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم . والذي نقل اللسان العربي من هؤلاء وأثبته في كتاب فصيره علمًا وصناعة هم اهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب

مختلفتين احداهما متولدة من الترجمة التركية وهذه نسميها تجوزاً "العربية المستركة" والثانية ناشئة من الترجمة من اللغات الافرنجية وهذه ندعوها "العربية المفرنجة"

وليس السبب في ذلك الترجمة بل السبب المترجمون الذين يتهافتون على ترجمة الكتب وصحف الاخبار التي تطبع وتنشر في الامصار وهم غير حاصلين على سلائق عربية وملكات لغوية وغير عالمين بأساليب الكلام العربي وطرق التعبير به . فيترجمون الكلمات والجمل كلمة كلمة وجملة بالفاظ مجنبة وعبارات ركيكة لم ترد تراكيبها في لغتنا غاضين النظر عما يجب عليهم من السلوك على اساليب النوع والنحو سائحهم واتباع خطرات ضمائرهم وعادات نواحيهم واجتناب اصطلاحات الاعاجم واتباعهم في مناهج افكارهم وتأليف المقاصد كعادات ديارهم فيأتي كلامهم المترجم بعيداً عن اساليب العرب بمراحل حتى ان القارئ يعرفه من اول وهلة ان كان مترجماً عن اللغات الافرنجية او اللغة التركية وربما لم يفهم له معنى مهما فكر به

ومن الغريب ان اكثر الجرائد الرسمية العربية التي تطبع في بعض الولايات هي من هذا القبيل عبارتها التركية في غاية الصحة والبلاغة لكن ترجمتها العربية ممسوخة اقبح مسخ ونحن نورد لك امثالاً وشواهد من كلام هذه الجرائد العربي لتعلم ايهن اشد اقتداراً على هذا المسخ واكثر تفنناً فيه. قالت احداهن بعد ان ذكرت ان غلاماً صدمته عجلة في مرورها فهشمته هذه الدرر "اننا نوجه تلك الوقعة نحو دقة نظر وانتباه الدائرة البلدية رأساً ونقول انه من اقدم وظائف البلدية ان تناظر سير وحركة العربات التي تسير داخل المدينة وتقي الخلق من مكذا مضرات وحيث ان عدم الانتظام المشاهد في سير وحركة العربات من المعلوم فقد كنا نود لو تأتي باخطار لدائرة البلدية من اجل ذلك ولكن ما الحيلة اذ ان عدم مشاهدتنا ثمرة اخطار واحد من اخطاراتنا المتعددة والفائدة لسلامة الخلق منعنا من ابراز لفظ واحد تجاه البلدية وقل من ان تعد البلدية مخاطبة غير ان النفس تأبى السكوت عندما ترى الاسباب التي تستلزم مضرة الخلق وها نحن جبرنا على ان نأتي باخطار آخر بسبب تلك الرقعة الداعية للتأسف فان شاء الله يتوجه بحر انصاف الدائرة البلدية بهذا السبب على الاقل وتثمر اخطاراتنا وتخلص العالم من المضرات" وقس على ذلك كثيراً

وقالت جريدة صغاء في مناقشة مقالاتها الافتتاحية "قبلاً كنا قد ادرجنا في صحيفة الحنونية انه لاجل حل وازالة المسألة المصرية مع اظهار مثال العاطفة الصائبة بمطالعة صاحب الملك ذي الطرف الاشرف حضرة ملجأ الخلافة وقع التصويب لدى حضرة مورد القدر السلطان الاعظم باغرام مأمور مخصوص الى جانب مصر ووقع التفضل بتعيين صاحب الدولة الغازي احمد

مختار باشا من المشيرات العظام وفي حالة كون بعثة ذواتهم بعض ذوات كرام من خلفاء ديوان امدى الهايوني ومن الدوائر العالية السائرة تخصص لركوبهم وابور عز الدين الهايوني وتفضلوا بالعزيمة الى مأموريتهم وبهذه المرة نظرًا الى ما صار استنباطه من الاخبار الموثوقة التي أخذت من الاسكندرية انه عند شيوع لمعان برق تفضلهم بالحركة من دار الخلافة الى مصر بواسطة التلغراف وقع اجراء رسم الاستقبال بصورة في غاية الشعاع وحيث ان الذخاير الصانية التي يتفضل المشير المشار اليه باتخاذها كلما استحضرنا بمنه تعالى اعلانها بالتدريج في جريدتنا من جملة مصانعنا فالآن نذكر الدعا واجب الادا المفروض الى عهدتنا جناب الحق يتفضل بالاحسان بالموفقيات". انتهى

ولولا خوفي على القارئ من الدوار والغثيان لانحفته بفقرة أخرى من تلك الجريدة

وقالت جريدة الزوراء ان" الرئيس علكساندر وقد سارع لاستعفاء القنصور من اجل بعض حركاته التي جعلت حضرة الجار مغمرًا عليه" وقالت ايضًا " توجهت اعادة الامنية والموفقية الى ان ترى نفسها بمرآة اليسر والسهولة "– وايضًا " رأس الضباط الرين في الولاية ذو الرفعة ياسين افندي الذي يناقبل هذا كيفية تسبب بدء من الشغل لم يتبين له في التحقيقات المجراة سوء استعمال ومعاملة بل ظهرت استقامته ودرايته فصارت كافة العزوبات والاسنادات التي في حقه رهينة الرد والبطلان " – وايضًا " لا يمكن يزمن من الازمنة ان تتلوث اذيال الصدق والعفة بالاسنادات الباطلة بل من يوجد بافكار ابراك المضرة لبني نوعه يكون رأسه في دائم الارقات هدفًا لحجار الملام " – وايضًا " طرق سمعنا ان ذا الرفعة شريف افندي قائمقام عنه الذي جرت يده من الشغل من اجل بعض الاخبارات" –وقالت جريدة " الموصل " "هذه معلومات دائر علامات علة المعبر عنها بالفلوقسرا التي ظهرت جديدًا في اوروبا بعروق اشجار العنب منذ اثني عشرة ظهرت علة جديدة بعروق اشجار العنب ومن سبب ظهور تلك العلة فكثير من الباحثين يبحث وتلك العلة ظهرت اولاً في امريقا ومؤخرًا في اوروبا وسبب تلك العلة مشاهد وهو انه يظهر دود ناعم بدرجة لا يمكن رؤيته ويجتمع منه ملايين على عروق اشجار العنب واكثر اجتماعه يكون على تلك الاشجار وبعض ما بها من الماء كالعلق كل آن فتغدو عليلة وان داوم عليها تبس وتتلف ولذا قد سمى ذلك الدود بالفلوقسر وعبر عن تلك العلة بالعلة الفلوقسرا – وقالت ايضًا "ليس الذوق بافتخار شرف العرض اصحاب الهمة الذين هم متساويون في الخلقة هل يمكن ان يتصوروا نظر مطمح نظر اسنى من هذا"

اما العربية المتفرنجة فمن الشواهد عليها هذه الفوائد التي التقطناها من بعض الكتب والجرائد المطبوعة في لغتنا العربية مترجمة من اللغات الافرنجية فمنها قول القائل " بالكاد كانت تقدر

ان تستخدم احداهما لحماية ذاتها" . ومنها "لكي نكتسب يوماً ما اكثر المجد الغير المائت الذي تتوج به منتصرة. ومنها "الجميع نبلوهم ببرود الوجه و بالشكي من افعالهم و بالملامة المرة عليهم". ومنها فهذا السلطان الذي بالكاد وتتنفذ بلغ سن العشرين سنة ذو دم حار وغيظ شديد . ومنها حينما هذا السلطان راق من بحار نصرته وبردت فوه حرارة رجزه قد اخذه الندم المر واستحوذ عليه قلق الضمير وجرحته اشواك تخز الذمة فانطرح عليلاً بخطر الموت واما هو فمع شراسة وحدة طبعه قد كان يسمع هذه الانواع من التمرمر والشكي ضدهُ صامتاً بروح هادىء . ومنها "في الجيل الذي قبل جيلنا الحاضر تملك في الاوربا روح الشك والريب مع روح الجدالات السفسطيه. ومنها ما كان جيد منهم ان يسافروا في ظروف كهذه الظروف . ومنها تغلبوا على كل صعوبة بالوقت الذي الطفس كان ضدهم — ومنها اجتمع عندهُ روح ملوك . ومنها ياصديقي العزيز المحبوب مني جداً جداً . ومنها عطي زيادة الى فلان . ومنها متخذين ذلك وسيلةً لتقديم احترامانا الفائقة لاتمم شخصكم الفريد — ومنها يوح ينابيع دموع حنينة . وقس على ذلك الف داهية من هاتيك الدواهي وهذه التعبيرات الواهية عجمتها ظاهرة للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار ولم ترد في كلام العرب ولا المولدين ولا احد من المتقدمين بل هي من مخلفات جهلة المترجمين الذين لضعف ملكتهم وعجزهم عن سبك الكلام التركي او الافرنجي في قالب عربي فصيح يستعملون هاتيك العبارات وما يضاهيها و ينشرونها في البلاد قاصيها ودانيها فتأخذها العامة على علاّتها وتستعملها كما سمعتها في مخاطباتها ومراسلاتها فتتأصل فيهم حتى تصير ملكة راسخة لم تتحكم غاية الاستحكام بتوالي الايام وكثرة الاستعمال . ولا ريب ان كل اديب يشاركنا في الاسف على مرض اللغة واشرافها على التلف ان دام الحال على هذا المنوال ولذلك بادرنا لتحرير هذه الرسالة مع قلة بضاعتنا وضعف براعتنا تنبيهاً للاذهان وتحريكاً للخواطر وانهاضاً لهم ذوي الادب المشغوفين حباً بلسان العرب لعلهم يعيرونها منهم قلوباً صاغية وآذاناً واعية فيتعاونوا ويتعاضدوا على قطع شافة هذا الخلل ودرء هذه المفاسد بمنع اسبابها ووسائلها وقطع دواعيها و بواعثها ويشمروا عن ساعد الجد والاهتمام لاعادة رونق اللغة وبهجتها وذلك بتأليف النوادي الادبية للسعي وراء الغاية التي ذكرناها والحث والترغيب كتابةً ومشافهة على نبذ الكلام التركيك الفاسد والانهماك في مطالعة الكتب البليغة الفصيحة مثل كتاب نهج البلاغة وحكم الجاحظ وفصول ابن المعتز وخطب ابن نباته ورسائل الخوارزمي ونوابغ الزمخشري ومقامات الحريري والبديع وفقه اللغة وما اشبه ذلك بعد تعلم ما يلزم من القواعد الصرفية والنحوية

ع . م .